باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناه ترغيبا في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذ للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج من موضوع المقتطف ومراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) والمناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف الغلط غيره عظيما كان المعترف بغلطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

خطبة سعيد باشا شقير

حضرة العالمين الفاضلين صاحبي المقتطف المحترمين

لقد اطلعت على ما كتبهُ حضرة الشيخ احمد محمد شاكر وحضرة حامد افندي عوض انتقاداً على ما جاء في خطبة سعادة سعيد باشا شقير من اختصاره لآية من آي القرآن الكريم. واني اوافق حامد افندي عوض على ان سعادة الخطيب صحيح النية سليم الطوية وعلى ما جاء في خاتمة كتابه لكم من شكر الخطيب لما وعت خطبتهُ النابهة الشأن من المعاني البارعة والعظات البالغة المؤثرة في النفوس فانها ولا شك من الخطب النادرة في موضوعها تشهد للخطيب بطول الباع وسعة الاطلاع

ولقد سمعت سعيد باشا يلقي خطبتهُ هذه فكان لها في نفسي اجمل وقع وقلما خرجت متأثراً من كلام خطيب كما خرجت بعد سماعي سعيد باشا. وعسا ان نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف وعد بطبعها فاني وعدت النفس بشرائها وحفظها كذخر ثمين ولكنها حتى الآن لم تطبع الاّ في المقتطف فعسى نجيب افندي ان يطبعها على حدة وعسى الخطيب ان يعلق عليها بعض الحواشي ويذكر المصادر التي اخذ عنها بعض ما فيها من الحقائق فتزيد بذلك قيمتها ويعظم نفعها

اما الامور التي نرجوهُ ان يذكر مصدرها فهي الآتية

اولاً قولهُ ان علماء الجيولوجيا يقولون ان الانسان ظهر على الارض منذ

مئتي الف سنة او اكثر . من هم هؤلاء العلماء وهل هذا هو الرأي المعول عليهِ الآن. فانكم ذكرتم في مقتطف مايو رأي احد العلماء ان الانسان قد سكن اميركا قبلما سكن اسيا وعقبتم على ذلك ان كلَّ ما قيل عن قدم الانسان وقدم اثارهِ لم يثبت شيء منهُ حتى الآن

ثانياً قولهُ ان البوذيين جعلوا للاحسان الهاً لهُ الف يد وفي راحة كل يد عين . ترى هل هذا اعتقاد البوذيين في الماضي او اليوم وهل عندهم تمثال او صورة لهذا الاله فاني لم اعثر على ذلك في كتاب ما

ثالثاً قولهُ انهُ وجد في نواويس الجثث المحنطة منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح دروج من البردي مكتوب عليها ما يأتي :

« انني طاهرة يا الهي فقد كنت اقدم خبزاً للجائع وماء للعطشان وكساء للعريان ». يصعب التصديق ان الكتابة تبقى ظاهرة على الدروج مدة خمسة آلاف سنة الاَّ اذا كانت نقشاً على حجر لا خطاً على دروج

رابعاً قولهُ ان الانسان طمح الى مخاطبة الكواكب . هل ذلك وهمي ام قد جرب العلماء ذلك فعلاً

خامساً قوله ان اسلافنا عبدوا الحجارة . فان المعروف انهم عبدوا القمر والشمس والنجوم والنار كما ذكر الخطيب ولكن لم اعثر على شيء يدل على انهم عبدوا الحجارة

سادساً قولهُ ان اهل الولايات المتحدة اخذوا كثيراً من نظامهم السياسي عن الهنود. ولعلهُ يقصد هنود اميركا المتوحشين فانهُ يصعب التصديق ان يكون اهل الولايات المتحدة الذين هم الآن من ارقى امم الارض ونظامهم السياسي من ارقى الانظمة قد اخذوهُ عن الهنود المتوحشين

سابعاً قولهُ ان برزبين وهب في العام الماضي عشرين مليوناً من الجنيهات دفعة واحدة للتهذيب والصحة ومعالجة امراض الاجسام والعقول وكان قد وهب قبلها ثمانين مليوناً. من هو هذا برزبين فان اسمهُ غير معروف وما هي ثروتهُ فانهُ يصعب التصديق ايضاً ان شخصاً يهب عشرين مليوناً من الجنيهات دفعة واحدة

يجوز ان يكون سعادة الخطيب قد بالغ فيما قالهُ ليؤثر على النفوس وهذا مسموح بهِ للخطيب احياناً لاسيما في الخطب الادبية ولكن في خطبتهِ من المعاني

الدقيقة والحقائق العلمية والادبية ما يجعلها من انفس الكتابات الادبية سواء حوت هذه المبالغة اولم تحوها ولكن اذا كان لما استشهد به مصدر تاريخي او علمي كانت الخطبة اتم وزادت قيمتها اضعافاً نجيب يوسف سالم

(المقتطف) ارسلنا كتابكم الى صاحب السعادة سعيد باشا شقير فجاءنا منهُ الردّ الآتي :

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

اني اشكر لحضرة الشيخ احمد محمد شاكر وحضرة حامد افندي حوض فضلهما لتنبيههما اياي انهُ في الاستشهاد باية من آي القرآن الكريم لا يجوز الاختصار الاَّ اذا وضع الكاتب نقطاً مكان الجزء الذي لا يحتاج الى الاستشهاد به في موضوعهِ او ذكر الجملة بين قوسين وراءهما نقطة وذكر سواها على هذه النسق او ذكر « ثم » بعد النقطة وقبل قوس آخر صيانة للقول المجيد ان يحفظ متتابعاً خطأً. وآسف لاني سهوت عن ملاحظة ذلك عند ارسال خطبتي لكم

واني اشكر لها ولحضرة نجيب افندي يوسف ايضاً ما جاء في تقدم من الاشارة الى ما وعتهُ الخطبة من المعاني والحقائق الخ « فعين الرضى عن كل عيب كليلة »

اما الامور التي يشك نجيب افندي في صحتها فمن الصعب عليَّ الآن تقصي مصادرها جميعها فان منها ما نقلتهُ عن الذاكرة ومنها ما قرأتهُ في الجرائد اثناء كتابتي الخطبة ولكني متأكد صحتها جميعها وسأذكر مصادر البعض قدر ما يسمح لي الوقت بالتحري

اولاً جاء في كتاب تاريخ التمدن القديم لشارل سينوبوس (دكتور في الآداب من جامعة باريس) المطبوع في لندن سنة ١٩٠٧ على الصفحة الثالثة ما يأتي:

« لم يبق بعدُ ادنى ريب ان الانسان عاش في العصر الذي كانت فيهِ الطبقات الحصوية في دور التكوّن. واذا كانت هذه الطبقات قد تكونت في الماضي بنفس البطء الذي تتكون بهِ الآن فان الناس الذين نعثر على عظامهم وادواتهم مدفونة في هذه الطبقات يلزم ان يكونوا قد عاشوا منذ اكثر من مئتي سنة »

واذا بحث حضرة نجيب افندي في كتب العلم رأى ان اكثر علماء الجيولوجيا والانثروبولوجيا على هذا الرأي الآن. اما المقتطف فعبارتهُ عن قدم الانسان كما يأتي:

« ولكن كل ما قيل عن قدم الانسان في اميركا وقدم آثاره لم يثبت شيء منها حتى الآن » فالاشارة في العبارة الى اميركا وحدها لا الى الارض ولعل نجيب افندي لم يراجع ما قاله المقتطف عند كتابته بل نقله عن الذاكرة وقد حفظه خطأ

هذا وان بعض العلماء يرون ان الانسان وجد على الارض منذ زمن اطول جداً مما ذكرت. فقد جاء في مقتطف اكتوبر سنة ١٩١٣ صفحة ٤١٠ تحت عنوان « جمجمة بلتدون وقدم الانسان » ما يأتي :

« الا ان الاستاذ كيث حسب ان هذه الجمجمة تسع دماغاً جرمهُ ١٥٠٠ سنتمتر مكعب فهي فوق متوسط جماجم الناس في هذا العصر وعليهِ فنوع الانسان ارتقى حتى بلغ الدرجة التي هو فيها الآن في اواسط عصر البليستوسين الذي دام من ١٥٠ ٠٠٠ سنة الى مليون وخمس مئة الف سنة او كما قالت جريدة التيمس في ١١ اغسطس الماضي اننا اذا اردنا ان نصل الى فجر الزمن الذي ارتقى فيهِ نوع الانسان وجب ان نرتد الى الوراء نحو مليون سنة »

ثانياً جاء في المجلد الثاني من معجم لاروس المصور المطبوع في باريس صفحة ٧٠٣ ما يأتي :

« ان الاحسان البوذيّ هو اعظم الفضائل وبدونهِ لا يستطيع اقدس مخلوق ان يكون بوذيًّا . ويمثّل هذه الفضيلة في المعتقد الهٌ تدلّ اشكالهُ البالغة نحو عشرين ورؤوسهُ وايديهِ المتعددة على اهميتهِ وعظم مهمتهِ ٠٠٠ فان ايدي هذا الاله قد تبلغ الفاً وفي راحة كل منها عين » وفي الصفحة عينها يرى حضرة نجيب افندي صورة من صور هذا الاله . وقد اخبرني ثقة انهُ رأى في محل الطواجا حاتون في الموسكي تمثالاً صغيراً لهذا الاله وهو معروض للبيع

ثالثاً جاء في كتاب دليل الآثار المصرية المطبوع في مصر للمسيو ماسبرو صفحة ٣٣٥ عند الكلام عن الغرفة السابعة G ما ترجمتهُ

« هذه الغرفة مخصصة للكتابات التي على الدروج او الانسجة ٠٠٠٠ واكثر دروج البرديّ التي على جدران هذه الغرفة وفي الصناديق التي تحلاها هي الدروج التي كانت تستخدم للموتى. وهي على نوعين احدهما معروف بكتب الموتى وهذه كانت توضع على جثثهم ٠٠٠٠ وقد جاء فيها لم اغش احداً من الناس ولم احزن

رملة .... لا اعرف الكذب ... لم اقتل احداً .... ان ما عملهُ الميت يتحدّث بهِ وتتهلل الآلهة بذكرهِ فقد قدّم خبزاً للجائع وماء للعطشان وثياباً للعريان الخ »

وما على نجيب افندي الاّ ان يزور هذه الغرفة فيتحقق صحة ما ذكرت في خطبتي ويتأكد عمر هذه الدروج والكتابة التي عليها

رابعاً ان ما ذكرتهُ عن محاولة الانسان مخاطبة الكواكب ليس بالامر الوهمي فان احد الاغنياء وقف مبلغاً كبيراً لمن يفوز بهذه الامنية وقد قرأت ذلك في تلغرافات روتر في نفس الاسبوع الذي القيت فيهِ الخطبة . وان البعض لا يزالون يبحثون في كيفية التوصل الى ذلك بواسطة الكهربائية ويعتقد بعضهم ان النجاح محتمل كما نجحوا بالمخاطبة بالتلغراف اللاسلكي

خامساً ليست التماثيل والانصاب التي كان يقيمها المصريون والبابليون والاشوريون والفينيقيون في سالف الزمن الاّ حجارة فكانوا يعبدونها ويقدمون لها الذبائح والضحايا . واني احيل نجيب افندي على ما ورد في السنة السابعة والثامنة من المقتطف تحت عنوان ادبان الاوائل فيرى هناك كلاماً مستفيضاً في هذا الصدد

وقد ورد في مجلة الآثار في الصفحة ٢٩٣ من السنة الثانية تحت عنوان « عوائد وعقائد غريبة قديمة » ما يأتي

« قيل اول ما كانت عبادة الاحجار في بني اسماعيل . وسبب ذلك انهُ كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد . وما من احد الاّ حمل معهُ حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم فحيثما نزلوا وضعوهُ وطافوا بهِ كطوافهم بالكعبة . وافضى بهم ذلك الى ان عبدوا ما استحسنوهُ من الحجارة ..... وقد دعيت الحجارة المعبودة انصاباً ومنها نصب الفلسطينيين في التوراة »

سادساً اني قرأت ذلك في خطبة لاحد علماء الانكليز في المقتطف ولكني لا اتذكر الآن في اي سنة ولا اي عدد منهُ وسابحث عن ذلك اذا سمح لي الوقت ثم اني لم اقل ان اهل الولايات المتحدة اخذوا نظامهم السياسي كلهُ أو معظمهُ عن

الهنود بل قلت انهم اخذوا كثيراً منهُ عن الهنود وعسى ان اعثر على المصدر الذي اخذت عنهُ ذلك

سابعاً قرأت هذا الخبر عن برزبين في جريدة الهدى التي تطبع في اميركا وذلك في العدد ٢٤٩ الصادر في ٨ دسمبر سنة ١٩٢٠ ولحسن الحظ لا يزال العدد بين اوراقي وهذا ما جاء فيهِ تحت عنوان « العطية المالية الكبرى »

« انقضت سنة اخرى وانقضت معها شؤونها الـ ٣٦٥ ومن حوادثها الخطيرة هي هبة ١٠٠ مليون من رجل واحد جاد بها لمنفعة العموم ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ وانفقت الامم ملايين وملايين الدولارات في الحرب الدموية اما الآن فقد ظهر رجل كان في سني الحداثة يشتغل كعامل واجرتهُ اليومية دولار واحد وجاد بمائة مليون دولار دفعة واحدة لمنفعة العموم وكان قد جاد بما يعادل اربعة اضعاف هذا المبلغ دفعات اصغر منهُ » واني مرسل لكم العدد المشار اليهِ من جريدة الهدى لتطلعوا عليهِ

هذا وعسى ان هذه المصادر التي ذكرتها تقنع نجيب افندي اني لم الق الكلام جزافاً ولم استشهد بشيء لم اكن قد قرأتهُ في مظانهِ

وعلى كل حال فاني اشكر لهُ انتقاده واطراءهُ ما جاء في خطبتي. واذا كان في انتقادهِ واجابتي افادة لبعض القراء فان ما اضاعهُ من الوقت في كتابتهِ لم يذهب جزافاً

سعيد شقير

كتاب باحثة البادية

استاذي العزيز الدكتور صروف

في اوائل هذا الصيف الذي مرَّ بنا وصلني كتاب باحثة البادية اعني البحث الانتقادي للكاتبة مي او الآنسة ماري زيادة على المرحومين ملك حفني ناصف وقاسم بك امين

اول ما فتحت هذه الكتاب وقعت عيني على المقدمة فلم اقرأ الاَّ السطر الاول حتى رأيت نفسي مندفعاً الى ان اعرف من هو صاحب هذه المقدمة. رأيت بعيني اسم كاتبها ولم استطع ان امنع نفسي عن قراءة الاسطر الاخيرة منها. قبل

ان اتممت قراءة الاسطر الثلاثة الاخيرة دخل عليَّ احد الاصدقاء فاطبقت الكتاب لياقةً وانا كاره نوعاً أنّي اتّفق لي هذا الاتفاق

لماذا يقول استاذي — اني اعدُّ الساعة التي اقترحتُ فيها على الآنسة ماري زيادة ان تجول في هذا المضمار من اسعد الساعات التي مرّت في حياتي

لا شكّ ان استاذي معجب بهذه الكاتبة ولعلهُ بداعي اعجابهِ بها بالغ وهو لا يقصد المبالغة — هكذا كانت افكاري بعد ان دخل عليَّ الصديق المشارإليهِ والتزمتُ لياقةً بداعي دخولهِ ان اطبق الكتاب كما المتُ

لم يتيسّر لي ان اعود الى مطالعة الكتاب الاّ في اليوم التالي وفي ذلك اليوم قرأت مقدّمة استاذي مرتين اعجاباً بالمقدّمة وبمن كتبت فيهِ ايضاً . لاني بدأت اتعرّف بهِ مما جاء فيها من عباراتهِ الرائعة ومع ذلك بقي شيءٌ من خاطري الاول الذي كان تسارع الى ذهني اي المبالغة عالقاً في نفسي، وما اشدّ ما تؤثر في انفسنا خواطرنا الاولى ولاسيما اذا اطالت اللبث فيها مدة

قامت حرب في نفسي بين عقلي وخواطري . عقلي يقول انهُ لم يختبر من استاذي المبالغة من قبلُ ويعضدهُ اي يعضد عقلي الغفلة الظاهرة الواضحة في تلك المقدّمة عن كل مبالغة . لم يتوقف قلم الدكتور صرّوف في ما كتبهُ في موضع من المواضع اقل توقف لا في فكر ولا في عبارةٍ ولا في كلةٍ من افكار مقدمتهِ وعباراتها وكلماتها ومن الغريب ان لم يكن من المستحيل ان تتجلّى الغفلة والسهولة وعدم التوقف اتمّ تجلٍّ في حديث رجل او في كتابتهِ وذلك الرجل يقصد المبالغة او غير ما يعتقد . ولكن تأثير خاطري الاول فيَّ ما زال شيءٌ منهُ على رغم حكم عقلي واختباراتهِ السابقة . فماذا اعمل

لا بدّ لي من قراءة الكتاب كما قرأت المقدّمة وهكذا فعلتُ . قرأت الكتاب مرتين وكثيراً من فصولهِ ثلاث مرات او اربع فوصلت الى هذه النتيجة وهي — انّ من المبالغة ما لا مبالغة فيها

اليوم يوم كتابة هذه السطور اعدت قراءة المقدّمة قبل ان بدأت اكتب ولو طلب مني كتابة مقدّمة لكتاب الآنسة مي وخيرت في ما اكتبهُ ما اخترت غير ما كتبهُ استاذي الدكتور صرّوف فالكتاب يستحقّ هذه المقدّمة والمقدّمة

خليقة بهذا الكتاب وطبق لما يستحقهُ من المبالغة التي لا مبالغة فيها . ولكني استأذن استاذي الدكتور صروف في زيادة ملاحظتين على مقدمتهِ اولاهما ان الآنسة الكاتبة هي تتصوّر امامها الصورة اولاً ثم تطبق العبارات والالفاظ عليها وملاحظتي هذه مذكورة ضمناً في المقدمة . واما الملاحظة الثانية فخارجة عن موضوع المقدّمة لا تعلق لها بكتاب الكاتبة من الوجهة التي كتبت المقدّمة لها وانما تتعلق باخلاق الكاتبة

من يقرأ انتقاد الآنسة هي كما قرأتهُ وينظر الى نفسها المتجلية في كتابتها يرى هناك عظمةً واخلاصاً يندر وجود مثلهما وفي الدرجة التي هما عليها في نفس هذه الاميرة الكاتبة . وبيانهُ

الكتبة نظير كل اصحاب الصناعات يتغايرون سرًّا او علانية ويخاف احدهم من ان يتبادر الى الاذهان أنَّ غيرهُ مقدّم عليهِ ولذلك فاغلبهم ان لم اقل كلهم اذا مدحوا كاتباً او انتقدوهُ على غير جهة الاستقراض والوفاء سمحوا لاقلامهم ان ينزّ منها ما يشعر او يشير من طرف خفيّ الى تفضلهم او فضلهم عليهِ ممدوحاً او منتقداً كأنهم يريدون أن يقولوا لهُ مثلاً انت كاتب بليغ ولكنّ بلاغتك دون بلاغتي او كاتب عالم ولكنّ علمك دون علمي وهكذا

هذا النزُّ مهما بالغ الناظر في كتاب باحثة البادية لا يرى لهُ اثراً . لقد زاد انتقاد الآنسة هي المرحوم قاسم بك امين اعتباراً عندي على عظم اعتباري لهُ واما باحثة البادية فكنت اظنها فيما كتبت صدًى لما كتبهُ المرحوم قاسم بك امين فاذا بي اراها بعد قراءة نقد الآنسة هيّ كاتبة السيدات المصريات بل كاتبة الجيل الذي كانت فيهِ من المصريات والسوريات بل كاتبة لا يستحي الغرب ان يباهي بها كما باهى بها الشرق بلسان كاتبتهِ الآنسة هيّ . عظمةُ نفس واخلاص قلما رأيتُ مثلهما في غير هيّ الاَّ في الاقلين . وهذه العظمة وهذا الاخلاص كادا ينسياني بلاغة هذه الآنسة والاميرة بين الكتّاب والكاتبات . هل لاستاذي ان يدرج كلماتي هذه كما جاءت في المقتطف الاغرّ احتراماً لهذه الكاتبة واقراراً بفضلها الباهر . وامتنانًا بذلك على تلميذكم المحب

بيروت الكلية الاميركية جبر ضومط

ذكرى محمد علي الاكبر

حضرة العالم الفاضل محرر المقتطف الزاهر :

جاء بصحيفة ٢٤٥ من الجزء الثالث من المجلد السابع والخمسين من المقتطف اعتراض لحسين افندي لبيب على قولي في مقالتي عن « ذكرى محمد علي الاكبر »: « لم يهب الله الاسلام بعد الخلفاء الراشدين فاتحاً امتد لهُ من السلطان والذكر ما امتد لمحمد علي »

فانكر حضرتهُ هذا الاستنتاج بلسان قراء التاريخ العام وابدى دهشة لجهلنا فتوحات غير واحد ممن تقدم محمد علي من رجال دول الاسلام وذكر على سبيل الاستدلال فتوحات الوليد بن عبد الملك وصلاح الدين والظاهر بيبرس والامبراطور اورنجزيب والسلطان سليمان القانوني. وفات حضرتهُ ان كل هؤلاء الذين ذكرهم ملوك وسلاطين آل اليهم ملك اسلافهم وسعة سلطانهم وليس من بيتهم فاتح عصامي كمحمد علي لم يرث قيد شبر من رقعة دولتهِ ولم يكن لهُ جاهٌ ولا نفر ومع ذلك امكنهُ بنفسهِ وعلى رأس جيوشهِ ولدهُ الاكبر ان يفتح ملكاً حوى مصر والسودان وبلاد الشام وشبه جزيرة العرب واقليم اطنه وجزيرة كريد . زد الى ذلك بلاد الموريا وبعض جزائر اليونان واسيا الصغرى وكلها خضعت لسلطانهِ لزمن ما

على اننا لم نقصد مقارنة فتوحات محمد علي بفتوحات غيرهِ من حيث المساحة بل اردنا اثبات ان ما شيدهُ محمد علي لنفسهِ من الجاه العظيم والسلطان الواسع في العالم الاسلامي قد فاق مجهود اي فاتح فذٍ آخر ظهر بعد الخلفاء الراشدين — حتى صلاح الدين الايوبي لانهُ يعد وارثاً لملك اسيدهُ استاذهُ السلطان محمود نور الدين زنكي

محمد رفعت

استاذ التاريخ بمدرسة المعلمين السلطانية